الجهل المركب وطريق الخلاص منه

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام

الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته ﷾ بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١). الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (٢).

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلوم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧ -١٨.

بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(القانون) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن يتقبل منا ذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الأخسرون أعمالاً

قال الله سبحانه في الكتاب العزيز: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[1].

أي: ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله، لهؤلاء الكفار، أو لكل من يسمع، مؤمناً كان أم كافراً ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾ أي نخبركم ﴿بِالأَخْسَرِينَ﴾ أي بأخسر الناس ﴿أَعْمالاً﴾ الذين يكون خسائرهم أكثر من خسائر غيرهم؟ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ

(١) سورة الكهف: ١٠٣ - ١٠٤.

الدُّنْيا﴾ فكل ما سعوا وعملوا في هذه الحياة ضل وضاع عنهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ أي: يظنون أنهم يعملون حسناً، و(الذين ضل) من تتمة الاستفهام، بدل من (الأخسرين)[1].

من مصاديق ﴿الأخسرين أعمالا﴾

علماً بأن هناك مصاديق كثيرة للأخسرين أعمالاً، منهم: من أشار إليه مولانا الكاظم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالا﴾ قال عليه السلام: «إنهم الذين يتمادون بحج الإسلام ويسوفونه»[2].

ومنهم: النصارى والقسيسون والرهبان وأهل الشبهات والأهواء، ففي البحار عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ قال: «هم النصارى والقسيسون والرهبان وأهل الشبهات والأهواء من أهل

---

(١) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١٦ ص٢٥ سورة الكهف.

(٢) غوالي اللآلي: ج٢ ص٨٦ ضمن ب١ح٢٣٢.

القبلة والحرورية وأهل البدع»[1].

الخوارج هم الأخسرون

ومن مصاديق ﴿الأخسرين أعمالاً﴾: الخوارج الذين حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام في النهروان.

عن الأصبغ بن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، سلوني فإن بين جوانحي علماً جماً».

فقام إليه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين، ما الذاريات ذروا؟

قال عليه السلام: «الرياح».

قال: فما الحاملات وقراً؟

قال عليه السلام: «السحاب».

قال: فما الجاريات يسرا؟

قال عليه السلام: «السفن».

قال: فما المقسمات أمرا؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٩٨ ب٣٤ ح٢٢ عن تفسير القمي، والبحار: ج٩ ص٢٣٢ ب١ ح١٢٤.

قال عليه السلام: «الملائكة».

قال: يا أمير المؤمنين، وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً؟

قال عليه السلام: ثكلتك أمك يا ابن الكواء، كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً، فسل عما بدا لك».

قال: يا أمير المؤمنين، سمعته يقول: ﴿بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِبِ﴾[1]، وقال في آية أخرى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[2]، وقال في آية أخرى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[3]؟

قال عليه السلام: «ثكلتك أمك يا ابن الكواء، هذا المشرق وهذا المغرب، وأما قوله: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ فإن مشرق الشتاء على حدة، ومشرق الصيف على حدة، أما تعرف بذلك من قرب الشمس وبعدها، وأما قوله: ﴿رب المشارق والمغارب﴾ فإن لها ثلاثمائة وستين برجاً، تطلع كل يوم من برج، وتغيب في آخر، فلا تعود إليه إلا من قابل في ذلك اليوم».

قال: يا أمير المؤمنين، كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك؟

---

(١) سورة المعارج: ٤٠.

(٢) سورة الرحمن: ١٧.

(٣) سورة الشعراء: ٢٨.

قال عليه السلام: «ثكلتك أمك يا ابن الكواء، سل متعلّماً ولا تسأل متعنّتاً، من موضع قدمي إلى عرش ربي، أن يقول قائل مخلصاً: لا إله إلا الله».

قال: يا أمير المؤمنين، فما ثواب من قال: لا إله إلا الله؟

قال عليه السلام: «من قال: لا إله إلا الله، مخلصاً، طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض، فإن قال ثانية: لا إله إلا الله، مخلصاً، خرقت أبواب السماوات وصفوف الملائكة، حتى يقول الملائكة بعضها لبعض: اخشعوا لعظمة الله، فإذا قال ثالثة: لا إله إلا الله، مخلصاً، تنته دون العرش، فيقول الجليل: اسكني، فو عزتي وجلالي، لأغفرن لقائلك بما كان فيه»، ثم تلا عليه السلام هذه الآية: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1] يعني إذا كان عمله صالحاً ارتفع قوله وكلامه ...

قال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن نفسك؟

قال عليه السلام: «كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتدئت».

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً﴾[2] الآية؟

---

(١) سورة فاطر: ١٠.

(٢) سورة الكهف: ١٠٣.

قال عليه السلام: «كفرة أهل الكتاب اليهود والنصارى، وقد كانوا على الحق فابتدعوا في أديانهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً».

ثم نزل عليه السلام عن المنبر وضرب بيده على منكب ابن الكواء، ثم قال: «يا ابن الكواء، وما أهل النهروان منهم ببعيد».

فقال: يا أمير المؤمنين، ما أريد غيرك، ولا أسأل سواك.

قال ـ الراوي ـ: فرأينا ابن الكواء يوم النهروان، فقيل له: ثكلتك أمك، بالأمس تسأل أمير المؤمنين عليه السلام عما سألته، وأنت اليوم تقاتله؟! فرأينا رجلا حمل عليه فطعنه فقتله[1].

وعن أبي الطفيل أنه سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً﴾ فقال عليه السلام: «إنهم أهل حروراء» ثم قال ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ في قتال علي بن أبي طالب عليه السلام»[2].

وقد روى المحدثون أن رجلاً تلا بحضرة علي عليه السلام: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ فقال علي عليه السلام: «أهل

---

(١) الاحتجاج: ج١ ص٢٥٩، احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن ...

(٢) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٢٦ ب٢٢ ح٥٧٢.

حروراء منهم[1].

وفي تفسير العياشي عن إمام بن ربعي قال:

قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن قول الله ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ قال عليه السلام: «أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم وابتدعوا في دينهم فحبط أعمالهم وما أهل النهر منهم ببعيد»[2].

خسارة المسلمين

ومن مصاديق ﴿الأخسرين أعمالا﴾ في يومنا هذا: الكثير من المسلمين، حيث يتقهقرون يوماً بعد يوم، وهم يزعمون التقدم.

وهناك بعض الناس في الحياة، ينسب تأخره وخسارته في مختلف مجالات الحياة إلى غيره، فيأتي بأسباب وعلل لا صحة لها[3]، وإنما هي مجرد تبريرات واهية، ونتيجة ذلك هو المعبر عنه في الآية الكريمة بـ (ضلال السعي) كأنه أضل الطريق، فانتهى به السير

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٥٢ ب٢٣ .

(٢) تفسير العياشي: ج٢ ص٣٥٢ من سورة الكهف ح٨٩.

(٣) أي: ليست عللاً ولا أسباباً حقيقية.

إلى خلاف الغرض.

وهذه الظاهرة من أسباب تأخر المسلمين في الحال الحاضر، حيث أصبحوا غير مستعدين للاعتراف بأخطائهم وعيوبهم، ولايريدون أن يُتعبوا أنفسهم بإزالتها.

الجهل سبب الخسارة

ثم إن أسباب خسارة الأعمال عديدة، من أهمها: الجهل المركب، وهو أسوأ من الجهل البسيط، فالجاهل إذا كان يعلم بجهله فإنه جاهل بسيط، وربما سعى للتعلم والقضاء على الجهل، أما الجاهل الذي لا يعلم بجهله فإنه جاهل مركب، وهو لا يرى نفسه على خطأ حتى يسعى في إصلاحها.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[1].

وهذا من مصاديق الجهل المركب.

ثم إن هناك أسباباً أخرى للخسران، منها: فقدان التدريب والتجربة في العمل، وكذلك الجهل بالطرق التي تؤدي إلى النتيجة الصحيحة، فأحياناً نرى الإنسان في طريق الخسران والضرر الكبير،

---

(١) سورة الكهف: ١٠٣ -١٠٤.

معتقداً أنه في الطريق الصحيح وأنه رابح ومنتفع ولا يرى غير ذلك.

وقد جاءني ذات مرة شخص، وأطلعني على كتاب له قد ألفه، واختار له عنواناً كبيراً نسبه لنفسه، وكان كتابه مليئاً بالأخطاء النحوية والصرفية، بحيث لو ألف الكتاب أي طالب علم عادي، لم يرتكب ما ارتكبه من أخطاء. وحيث إنه قد صرف وقتاً طويلاً لتأليف هذا الكتاب كان يحسبه عملا في القمة! مع أن الواقع كان على العكس تماماً، فهو في ظنه قد أنتج عملاً جباراً، في حين أن عمله لم يكن يعد عملاً بالمستوى.

هذا نوع من الجهل المركب.

ومما يزيد الطين بلة إذا كان الجاهل المركب لا يقبل بالنصيحة. فبعض الناس إذا أُرشد إلى الطريق الصحيح والموازين الصحيحة يعتبر ذلك إهانة له!، ولا يستعد للقبول، وهذا أيضاً من عوامل تأخر الفرد والمجتمع، حيث إنهم يستبدون برأيهم على أنه الصحيح والواقع، دون الالتفات إلى عيوبه والأخذ بنصائح الآخرين.

مقام الفتوى

يذكر أن بعد وفاة المرحوم السيد أبي الحسن

الأصفهاني رحمه الله[1] أراد البعض التصدي لمقام الفتوى، في حين أنه

---

(١) هو السيد أبو الحسن بن السيد محمد بن السيد عبد الحميد الموسوي الأصفهاني، شخصية فذة، ذو عبقرية نادرة، فريد دهره، ووحيد عصره، حامل لواء الشيعة، من فحول علماء عصره. كان محققاً مدققاً فقيهاً أصولياً خبيراً بتراجم الرجال وسير التأريخ، جليل القدر عظيم المنزلة، حوى صفات الكمال وخصال الخير. ولد سنة (١٢٨٤هـ) في أصفهان، ثم ورد النجف الأشرف أواخر القرن الثالث عشر، وأقام في كربلاء مدة ينهل من معين علمائها، وبعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي قدس سره رشح للزعامة الدينية، وبعد وفاة الشيخ أحمد كاشف الغطاء قدس سره والميرزا حسين النائيني قدس سره أصبحت له الزعامة الدينية والرئاسة الروحية بلا منازع، وسار حديثه في الأوساط، طبقت شهرته الآفاق، حتى انيطت به القيادة الفكرية والمرجعية العامة في التقليد، فقام بأعبائها، واستقل بإدارتها، وتكفل بتسيير شؤون المعاهد العلمية وحوزات التدريس في إيران والعراق والهند وباكستان وأفغانستان وغيرها. شارك في الحركة الدستورية في إيران كما شارك في ثورة العشرين، وعارض تنصيب فيصل الأول ملكاً على العراق. كان مجلس درسه ملتقى البارزين من رجال العلم والفضلاء أينما حل، وذكر ترجمته صاحب كتاب (نقباء البشر): فقال: لم يترك السيد الأصفهاني إلا رسالة عملية، لكن صاحب موسوعة مؤلفي الإمامية قال: ترك عدّة مؤلفات منها: الرسالة العملية وسيلة النجاة، شرح كفاية الأصول، حاشية على العروة الوثقى، حاشية على تبصرة المتعلمين، منتخب الرسائل، ورسالة ترجمة المقلدين، وحاشية ذخيرة العباد ليوم المعاد، وحاشية المناسك، وحاشية منتخب الرسائل، وغيرها من الكتب الأخرى.

توفي قدس سره في ذي الحجة عام (١٣٦٥هـ) في الكاظمية، وشيع جثمانه الطاهر تشييعاً مهيباً إلى النجف، ودفن في الصحن الغروي الشريف.

لم يكن يتسم بذلك العلم والفضل الذين يؤهلانه للاجتهاد والتصدي. فإنه إذا كان يرى نفسه بالمستوى وهو دونها فإنه من الجهل المركب.

إن مَثَل هذا الشخص كمثل من يريد الصعود إلى سطح عالٍ بدون سُلّم!!

نعم بلوغ مقام المرجعية ليس بالأمر المستحيل، لكن هناك موازين ومراحل عليه أن يقطعها الإنسان ضمن حسابات وقياسات صحيحة، مضافاً إلى سائر الشروط المذكورة في الكتب الفقهية، حتى يتمكن من تحقيق الغرض، وهذا من سنن الحياة، حيث بني الكون على (قانون الأسباب والمسببات) الحقيقية لا الخيالية، والجهل المركب لا يغير من الواقع شيئاً بل هو خيال وسراب فقط.

ولنأخذ مثال الإنسان حيث إنه في وجوده ونموه وتكامله، يمر بمراحل موزونة ومحسوبة ودقيقة، ولا يكون ذلك أبداً بالخيال والجهل المركب، ولا بالطفرة وعدم التدرج عادة.

وهكذا كل شيء في هذه الحياة، فإن الطفرة وعدم التدرج قد يكون محالاً، وربما كان خلاف الحكمة، ومن هنا كان النظام الصحيح، والمرحلية الطبيعية، والسعي الحثيث، هو السبيل الناجح من أجل تسنّم المراتب والمقامات العالية..

فعلى الإنسان أن يحدث في وجوده حالة من التقدم ويوفر مقوماته، وأن يسعى لكي تكون خطاه دائماً نحو الخير والفضيلة وإلى الأمام، كما عليه أن يطّلع على الأسباب والوسائل الضرورية لتقدّمه، وهكذا أن يطلع على أسباب التأخر كالركود وطلب الراحة، ليبتعد عنها.

من علائم التأخر

هناك علائم لتأخر الفرد والأمة، يمكن من خلالها معرفة أنه متأخر، وإن كان الفرد ـ أو الأمة ـ يرى أنه متقدم، أي كان على الجهل المركب. ومن تلك العلائم: الكسل والبطالة.

فإذا رأينا الأمة كسولة، أو قد انتشر فيها ظاهرة البطالة، فهذا يعني تأخر الأمة وإن ادعت أنها متقدمة أو زعمت ذلك.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «آفة العمل البطالة»[1].

وقال عليه السلام: «آفة النُجح الكسل»[2].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا راحة لمؤمن على الحقيقة إلا عند لقاء الله، وما سوى ذلك ففي أربعة أشياء: صمت

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٣ ق٦ ب٥ ف٧ ح١٠٦١٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٣ ق٦ ب٥ ف٧ ح١٠٦١٧.

تعرف به حال قلبك ونفسك فيما يكون بينك وبين باريك، وخلوة تنجو بها من آفات الزمان ظاهراً وباطناً، وجوع تميت به الشهوات والوسواس والوساوس، وسهر تنوّر به قلبك، وتنقّي به طبعك وتزكي به روحك»[1].

وقال عليه السلام أيضاً لأصحابه: «لا تتمنوا المستحيل»، قالوا: ومن يتمنى المستحيل؟ فقال: «أنتم؛ ألستم تمنون الراحة في الدنيا؟». قالوا: بلى، فقال عليه السلام: «الراحة للمؤمن في الدنيا مستحيلة»[2].

حيث يستفاد من هذا الحديث أن على المؤمن أن يكدّ في العمل في دار الدنيا ويجهد نفسه، ولا يكون كسولاً ولا عاطلاً، ولايبحث عن الراحة الدنيوية بل يكون في طلب الراحة الأخروية.

لماذا تأخر المسلمون؟

إن المسلمين قد خسروا مواقع عديدة في هذا العالم وتأخروا عن ركب الحضارة كثيراً، وذلك بسبب قلة التجربة والممارسة، وترك التعاليم الإسلامية، مضافاً إلى سوء الحكام. ولكن تجد البعض يعلل التأخر بحجج واهية، هذا فيما إذا استعد للاعتراف

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٦٩ب٩٦ ح١.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨ ص١٩٥ ب١ ضمن ح٥٢.

بالتأخر، أما لو عكسنا الواقع وحسبنا أنفسنا متقدمين، والحال أننا متأخرون، فنحن في قمة الخسارة، وهذا هو الجهل المركب، وينطبق علينا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً...﴾[1] انطباقاً تاماً على وضعنا الحالي.

فإذا أردنا أن نتقدم ونحسن صنعاً حسب الموازين الكونية الصحيحة، فعلينا أن نتمسك بالمراحل التدريجية للكمال والتقدم، عبر الندوات المشتركة، والمشورة الدائمة، في أمورنا وأعمالنا؛ لنصل إلى التفاهم الحقيقي والمستمر في نقل التجارب وتكامل الأفكار على طريق صنع المجتمع الصحيح والقويم.

التقدم والقضاء على الجهل

هنالك أمور عديدة يمكن أن تساعدنا على التقدم والرقي إذا استطعنا التمسك بها، في بدايتها القضاء على الجهل وخاصة الجهل المركب، وذلك بالاجتهاد في طلب العلم والعمل به، وكذلك دراسة التاريخ والاستفادة من تجاربها، إلى غيرها من الأمور.

ومن أهم أسباب القضاء على الجهل المركب: الاستشارة.

عن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: « قيل: يا

---

(١) سورة الكهف: ١٠٣.

رسول الله، ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي، واتباعهم»[1].

وإذا لاحظنا التاريخ ورأينا الشعوب المتقدمة أو القبائل التي تفوقت على غيرها في مختلف أعمالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاقتصادية وما أشبه، نرى أن من أسرار تقدمهم عدم الجهل المركب، وأنهم لا يقدمون على أي عمل إلا بعد استشارة الخبراء والأخذ بأفضل الآراء، وبذلك تقل أخطاؤهم، ويزداد تقدمهم.

فإن الاستشارة تعرّف الإنسان على الخطأ والصواب، وتأخذ بيده إلى الطريق السليم. وتمنعه من الجهل المركب، بل مطلق الجهل، مثال ذلك مثال من يريد أن يرى قفاه، فإنه لا يستطيع، ولكنه إذا جمع مرآتين مرآة أمامه ومرآة خلفه، فعند ذلك يستطيع أن يرى قفاه.. وهكذا يستطيع أن يصل الإنسان إلى صحة عمله أو خطأه بالمشورة؛ لأن كل مستشار فهو بمنزلة المرآة يبين لك جانباً من جوانب القضية، ومن هنا كان تعدد الاستشارات مطلوباً لا أن يقتصر على واحدة، وفي ذلك قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «خوافي الآراء تكشفها المشاورة»[2].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص٣٩ ب٢١ ح١٥٥٨٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٢ ق٦ ب٤ ف١ ح١٠٠٧٢.

وعنه أيضاً عليه السلام قال: «ما استنبط الصواب بمثل المشاورة»[1].

الإسلام دين السلام

من مقومات القضاء على الجهل: تركيز مبادئ السلم في المجتمع، فإن العنف سبب للجهل، وربما الجهل المركب، وكذلك يكون الجهل من أسباب العنف.

لقد ركز الإسلام تركيزاً كثيراً على السلم والسلام حتى جعله شعاراً للإسلام فإن: (الإسلام دين السلام)، ومن مصاديق التركيز على ذلك، هو فيما إذا التقى المسلم بآخر، حيث يستحب أن يقول له: (السلام عليكم).

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[2].

وكذلك كانت السيرة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام حيث كانوا يتعاملون مع كل الناس وفق قانون السلم والسلام وبالصورة الحسنة حتى مع أعدائهم، وهذا يعني أننا مطالبون بأن نعمل على جمع الناس وتوحيدهم، تأسياً بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأئمة الأطهار عليهم السلام بدون تفريق أو تحيّز في

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٢ ق٦ ب٤ ف١ ح١٠٠٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٨.

المعاملة، حتى مع علمنا بمخالفة الآخرين، وما ذلك إلا لأن العفو واللين والسلم والسلام من شعارات الإسلام. قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾[1].

وليس من الصحيح أن نشن الهجوم على الآخرين لنبعدهم عن العمل، بل الطريق الصحيح والسليم والذي أكد عليه الإسلام، هو جمع الكلمة والوحدة والسلام الدائم، طبعاً مع حفظ الموازين الشرعية ومراعاة الأهم والمهم.

الشهيد الثاني رحمه الله وطريق النجاح

العلم هو الذي يقضى على الجهل المركب، وبقدر ما يجتهد الإنسان في طلب العلم يبتعد عن الجهل، كما هو واضح.

يذكر أن الشهيد الثاني (رضوان الله عليه)[2] المتوفى قبل خمسمائة

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٧.

(٢) هو الشيخ الأجل زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين ابن صالح العاملي الجبعي الشهيد الثاني، أمره في الثقة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحر وجلالة القدر وعظم الشأن وجمع الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر، ومحاسنه وأوصافه الحميدة أكثر من أن تحصى وتحصر، ومصنفاته كثيرة مشهورة. روى عن جماعة كثيرين جدا من الخاصة والعامة في الشام ومصر وبغداد وقسطنطينية وغيرها. كان فقيها محدثا نحويا قارئا متكلما ←

→

حكيما جامعا لفنون العلم. له مؤلفات منها: شرح الإرشاد في الفقه للعلامة، واسمه: روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، وهو أول ما ألفه، وكتاب شرح الألفية مختصر، وشرح متوسط، وشرح مطول، وشرح النفلية، وشرح اللمعة مجلدان، واسمه: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، وله مسالك الإفهام في شرح شرائع الإسلام، وحاشية فتوى خلافيات الشرائع، وحاشية القواعد، وحاشية تمهيد القواعد، وحاشية الإرشاد، ومنية المريد في آداب المفيد والمستفيد، وحاشية المختصر النافع، ورسالة أسرار الصلاة، ورسالة في نجاسة البئر بالملاقاة وعدمها، ورسالة في تيقن الطهارة والحدث والشك في السابق، ورسالة فيمن أحدث في أثناء غسل الجنابة، ورسالة في تحريم طلاق الحائض الحامل الحاضر زوجها المدخول بها، ورسالة في طلاق الغائب، ورسالة في صلاة الجمعة، ورسالة في الحث على صلاة الجمعة، ورسالة في آداب الجمعة، ورسالة في حكم المقيمين في الأسفار، ومنسك الحج الكبير، ومنسك الحج الصغير، ورسالة في نيات الحج والعمرة، ورسالة في أحكام الحبوة، ورسالة في ميراث الزوجة، وكتاب مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد، وكتاب كشف الريبة عن أحكام الغيبة، ورسالة في عدم جواز تقليد الميت، ورسالة في الاجتهاد، والبداية في الدراية، وشرح الدراية، وكتاب غنية القاصدين في اصطلاحات المحدثين، وكتاب منار القاصدين في أسرار معالم الدين، وكثير غيرها من المؤلفات القيمة.

وقد ذكره ولد ولده في كتاب الدر المنثور ومدحه بما هو أهله. قال فيه تلميذه ابن العودي العاملي: حاز من صفات الكمال محاسنها ومآثرها، وتروى من أصنافها بأنواع مفاخرها، كانت له نفس علية تزهي بها الجوانح والضلوع، وسجية سنية يفوح منها الفضل ويضوع، كان شيخ الأمة وفتاها، ومبدأ الفضائل ومنتهاها، لم يصرف لحظة من عمره إلا في اكتساب فضيلة، ووزع أوقاته على ما يعود نفعه في اليوم

←

→

والليلة. ثم ذكر بلوغه غاية الكمال في الأدب والفقه والحديث والتفسير والمعقول والهيئة والهندسة والحساب وغير ذلك، وأنه مع ذلك كان ينقل الحطب بالليل على حمار لعياله، ونقل عنه من رسالته التي ألفها في ذكر أحواله أن مولده كان سنة (٩١١هـ)، وأنه ختم القرآن وعمره تسع سنين، وقرأ على والده في فنون العربية والفقه إلى أن توفي والده سنة (٩٢٥هـ).

وذكر في سبب قتله: أنه ترافع إليه رجلان فحكم لأحدهما على الآخر، فغضب المحكوم عليه وذهب إلى قاضي صيدا واسمه معروف، وكان الشيخ مشغولا في تلك الأيام بتأليف شرح اللمعة، فأرسل القاضي إلى جبع من يطلبه، وكان مقيما في كرم له مدة منفردا عن البلد متفرغا للتأليف، فقال له بعض أهل البلد: قد سافر عنا مدة، فخطر ببال الشيخ أن يسافر إلى الحج، وكان قد حج مرارا ولكنه قصد الاختباء، فسافر في محمل مغطى، وكتب قاضي صيدا إلى سلطان روم أنه قد وجد ببلاد الشام رجل مبدع خارج عن المذاهب الأربعة، فأرسل السلطان رجلا في طلب الشيخ، وقال لـه: إئتني به حيا حتى أجمع بينه وبين علماء بلادي، فيبحثوا معه ويطلعوا على مذهبه ويخبروني، فأحكم عليه بما يقتضيه مذهبي. فجاء الرجل فأخبر أن الشيخ توجه إلى مكة، فذهب في طلبه فاجتمع به في طريق مكة، فقال لـه : تكون معي حتى نحج بيت الله ثم افعل ما تريد، فرضي بذلك، فلما فرغ من الحج سافر معه إلى بلاد الروم، فلما وصل إليها رآه رجل فسأله عن الشيخ فقال: رجل من علماء الشيعة الأمامية أريد أن أوصله إلى السلطان. فقال: أو ما تخاف أن يخبر السلطان بأنك قد قصرت في خدمته وآذيته، وله هناك أصحاب يساعدونه فيكون سببا لهلاكك، بل الرأي أن تقتله وتأخذ برأسه إلى السطلان. فقتله في مكانه من ساحل البحر، وكان هناك جماعة من التركمان فرأوا في تلك الليلة أنوارا تنزل من السماء وتصعد، فدفنوه هناك وبنوا عليه قبة. وأخذ الرجل رأسه إلى السلطان، فأنكر عليه وقال: أمرتك أن
←

عام تقريباً، كان قد تباحث مرة مع أحد العلماء في مسائل علمية عديدة، وغلبه في تلك المسائل إلا في علم التجويد، حيث لم يكن مسلطاً عليه بدقة، فاعتبر ذلك نقصاً، فراح يسأل عن عالم متبحر في علم التجويد فأرشدوه إلى شخص في مصر، وآنذاك سافر الشهيد رحمه الله إلى مصر ودرس علم التجويد على يد ذلك العالم ثم عاد إلى لبنان وبعد ذلك حرر كتابه (المسالك) المشهور والذي يعد من أمهات الكتب الاستدلالية الفقهية.

والآن وبعد مئات السنين من استشهاده لم يستغن طلبة العلم عن مطالعة علومه وآرائه الموجودة في رسائله ومؤلفاته القيمة، ويعود سبب ذلك إلى ما أجهد وأتعب نفسه للعلم بحيث هاجر مرات عديدة إلى مختلف المراكز العلمية، منها: إلى ميس سنة (٩٢٥هـ) وإلى كرك نوح سنة (٩٣٣هـ)، ثم انتقل إلى وطنه جبع سنة

(٩٣٤هـ) وأقام بها مشتغلاً بمطالعة العلم والمذاكرة إلى سنة

→

تأتيني به حيا، فقتلته؟! وسعى السيد عبد الرحيم العباسي في قتل ذلك الرجل فقتله السلطان. وذكر أنه رحمه الله استشهد يوم الجمعة في شهر رجب سنة (٩٦٦هـ) كما في نقد الرجال، أو (٩٦٥هـ) وكما عن خط ولده الشيخ حسن وعمره (٥٤ أو ٥٥ سنة).

انظر: الكنى والألقاب: ج٢ ص٣٨١ الشهيد الثاني.

(٩٣٧هـ) حيث رحل إلى دمشق وبقي بها إلى سنة (٩٣٨هـ)، ثم رحل إلى مصر سنة (٩٤٢هـ) ثم ارتحل من مصر إلى الحجاز سنة (٩٤٣هـ) وبعد قضاء الواجب من الحج والعمرة عاد إلى وطنه الأول ووصله سنة (٩٤٤هـ)، وفي سنة (٩٤٦هـ) سافر إلى العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام وبعد أن عاد سافر إلى بيت المقدس سنة (٩٤٨هـ)، ثم رجع إلى وطنه وبقي فيه إلى سنة (٩٥١هـ) حيث سافر إلى جهة الروم في القسطنطينية زمن السلطان سليمان بن عثمان، وقد وصل مدينة القسطنطينية سنة (٩٥٢هـ) وبعد أن أقام بها عدة شهور توجه إلى العراق، وبعد زيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف والكاظمية وغيرها، عاد إلى بلده منتصف صفر من سنة (٩٥٣هـ) ثم انتقل إلى بعلبك يدرس فيها مدة، كل ذلك من أجل طلب العلم والمعرفة، والمباحثة مع العلماء، والبحث عن المؤلفات والأحاديث النبوية وسيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام حتى وصل إلى قمة العلم وأشرف منازل العلماء.

ومن هنا كان جواب سقراط لمن شتمه وأعابه قائلاً: يا فاقد النسب!. فأجابه سقراط بجواب حكيم: إن نسبي العائلي يبدأ مني، ونسبك العائلي ينتهي بك.

حيث ذهب إلى أن شرف الانتساب في العلم لا في النسب.

نعم العلم هو ضد الجهل، ومتى ما كان العلم ارتحل الجهل، فإذا أردنا القضاء على الجهل المركب علينا بطلب العلم، دائما وأبداً، كما قال رسول الله ﷺ: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد».

الأسرار الربانية

لقد طلب نبي الله موسى عليه السلام من ربه أن يطلعه على بعض أسراره عزوجل، فأوحى له الله سبحانه: أن يا موسى، اذهب إلى تلك القرية ذات المنازل الأربعة، لكي تطلع على ما تريد، فإن فيها أحد أسراري. فراح موسى عليه السلام إلى تلك القرية الصغيرة، ولما وصل إلى البيت الأول وسأل عن حالهم قالوا له: لقد نثرنا الحب ونطلب من الله أن ينزل علينا المطر.

ثم وصل إلى البيت الثاني، فقالوا له: لقد صنعنا الأكواز، ونريد من الله أن يمن علينا بالشمس كي تجف!.

ولما وصل إلى البيت الثالث، قالوا له: إن سفينتا في البحر ونطلب من الله أن يخفف عنها ريح البحر كي لا تغرق.

وعندما وصل إلى البيت الرابع قالوا له: نحن حصدنا الحنطة

ودرسناها[1] ونريد الآن تذريتها، ونحن بانتظار الريح..

فتعجب موسى عليه السلام وقال مع نفسه: جلت قدرة الخالق تبارك وتعالى، الذي يجمع بين المتناقضات ويلبي جميع الطلبات كل بحسب مصلحته.

والحقيقة أن هذه الأمور راجعة إلى التدبير الموزون، فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء وهو الحكيم المتعال..

أما الإنسان فإنه عاجز جاهل، ويحتاج إلى التعلم والممارسة والتدريب والتجربة والصبر والاستعداد؛ لأن إدارة الأعمال ودفع عجلة الأمة الإسلامية إلى الأمام، أمر صعب جداً لا يتحقق بسهولة، بل يحتاج إلى نشر الفكر الإسلامي، وإحياء علومه الحقّة، وإخراج الأفكار الغربية والاستعمارية من أذهاننا وبلادنا، أي غربلتها من كل الشوائب الدخيلة على ثقافة الأمة الإسلامية، وهذا يتم عبر الندوات المشتركة والمشاورات المستمرة، وبعث روح الممارسة والتدريب بين المسلمين، للوصول إلى التطبيق الصحيح، وترك الأعمال الباطلة من العنف وغيرها، والتي يحسبها البعض

---

(١) دَرَسَ: درساً ودراساً الحنطة: أي داسها بالنورج ودرس الطعام يدرسه: داسه، ودُرس الطعام يدرس دراساً إذا وديس، ودرسوا الحنطة دراساً أي داسوها. لسان العرب: ج٦ ص٧٩ مادة «درس».

هي الصحيحة، والقضاء على الجهل البسيط والجهل المركب، والتي تؤدي إلى تأخر المسلمين بهذا الشكل الذي نحن عليه.

التبشير المسيحي

تقوم القساوسة في الغرب بدعوة الناس إلى الإيمان بالدين المسيحي، والالتزام بالتعاليم التي يُمليها البابا[١] عليهم، وقد خصصت لهم مكاناً يتسع لحوالي مائة ألف شخص، يقوم البابا فيها بإلقاء المحاضرات في المناسبات المختلفة، وأحياناً تقوم إذاعة خاصة بنقل هذا الحديث، حيث يستمع إليه الملايين في العالم حسب بعض الإحصاءات[٢]..

---

(١) هو الحبر الأعظم للكنيسة الكاثوليكية، أسقف روما، وخليفة القديس بطرس الأول، وهو ممثل السيد المسيح في العالم، ويعتبره الكاثوليك معصوماً أي منزهاً عن الخطأ. والبابوية وظيفة شرف وولاية، وهذا ما لا يعترف به البروتستانت ولا الأرثوذكس، فمنهم من يرفض كل سلطة لروما، ومنهم من لا يعترف لها إلا برئاسة شرفية. ويعتبر البابا من الناحية السياسية بمثابة رئيس لدولة الفاتيكان الصغيرة الحجم التي لاتتعدى مساحتها (٤٤ هكتاراً)، وهي منفصلة عن روما بأسوار. أصبحت الفاتيكان دولة مستقلة معترف بها بعد أن وقع البابا بيوس الحادي عشر وموسليني اتفاقية لاتران عام (١٩٢٩م) واعتبرت الكنيسة هذا الاتفاق مكسباً كبيراً لها.

(٢) في وسط الإهمال المتزايد أو القصور والتقصير الكبير من قبل المسلمين في مجال التبليغ والإعلام وجدت المنظمات التنصيرية المدعومة من الكنائس الغربية فرصتها، بل واستغلتها أيما استغلال، إذ أنها وتحت ستار تقديم المساعدات الإنسانية من غذاء ودواء، تعمل هذه المنظمات وبشكل دؤوب في تنصير المسلمين حتى في البلدان الإسلامية، وعلى الأخص في القارة الأفريقية، وذلك تطبيقا لمخططات وبرامج تم ←

→

وضعها بدراسة وعناية كبيرين، كما تم تهيئة الإمكانيات البشرية والمالية اللازمة لهذه الغاية من خلال مؤتمرات كثيرة عقدت لهذا الغرض، يأتي في مقدمتها مؤتمر عقد في ولاية كلورادو الأمريكية عام (١٩٧٨م) حيث تم وضع خطة شاملة تحت شعار تنصير المسلمين، يتم العمل على هذه الخطة للخمسين عاما القادم. وعقد فى هولندا مؤتمر آخر نظمته الطائفة البروتستانتية في عام (٢٠٠٠م) واستمر تسعة أيام وحضره عشر آلاف مندوب من أنحاء العالم، وتكلف المؤتمر (٤٥ مليون) دولار تبرع أحد المنصرين المشهورين، وقد حققت منظمات التبشير المسيحية نجاحات كبيرة في بعض البلدان الإسلامية كالباكستان وبنجلاديش والسودان والمغرب والجزائر، وقد وصل عدد الكنائس فى بنجلاديش الى (١٧٠) كنيسة خلال ثلاث سنوات، وتضاعف عدد الكنائس فى أفريقيا خلال العقد الأخير حتى وصل إلى أكثر من ٢٤ ألف كنيسة.

وإليك بعض النشاط التبشيري حسب ما نشرته (مجلة LAVIDA) في عام ١٩٨٧م) وهو تقرير سنوي لدائرة تنصير الشعوب في الفاتيكان:

بلغ عدد المنصرين الكاثوليك في العالم (٤٧١٠٠٠) منصر. وعدد المدارس التابعة لهم في العالم (٥٨٠٠٠) مدرسة. وعدد المعاهد التابعة لهم في العالم (٢٦٠٠٠) معهداً. وإن مجموع الإعانات التي وزعتها الدائرة (١٢٠ مليون) دولار لعام (١٩٨٦م). وأن (٤٢٢ لغة) أفريقية ترجمت إليها الأناجيل. وأن (١٠٤ ألف) قسيس ومنصر يعمل في إفريقيا. وأن (١٦٦٧١) معهدا كنيسيا في إفريقيا أنشأ حتى عام (١٩٩٠م). وأن الكنائس في أفريقيا تشرف على (٥٠٠) جامعة وكلية، و(٤٨٩) مدرسة لاهوتية لتخريج المنصرين، و(٢٥٩٤) مدرسة ثانوية، و(٨٣٩٠٠) مدرسة ابتدائية، و (١١١٣٠) روضة أطفال. وهناك (٦٠٠) مستشفى، و(٢٦٥) معهد للأيتام، و(١٣٠) ملجأ للمرضى، و(١١٥) مدرسة للمكفوفين، و(٨٥ ملجأ مميز للأرامل، و(٥١١٢) مستوصف كلها تملكها أو تدار تحت إشراف الكنائس في إفريقيا. وهناك (٦ ملايين) مسلم يدرس في المدارس التنصيرية. وتصدر (٧٥) مجلة تنصيرية في
←

→

إفريقيا. وأن مقدار ما أنفق على النشاط التبشيري في افريقيا بلغ (٣٢ مليار) دولار. وهذه الأرقام نشرت سنة (١٤١٠هـ) والأرقام الحالية تفوق ذلك بكثير.

وذكر موقع إحدى المحطات العربية الأرقام والمعلومات التالية :

قارة أفريقيا التي يزيد عدد سكانها على المليار نسمة كان الدين الإسلامي الدين الأساسي فيها، وهناك ثلاثون لغة إفريقية كانت تكتب بالخط العربي، انخفض عدد المسلمين فيها إلى (٣١٦ مليون)، وهؤلاء نصفهم من العرب في الشمال الإفريقي، وأخيراً أصبح عدد المسلمين فيها لا يتجاوز (١٥٠) مليون نسمة، وبالمقابل ارتفع عدد الكاثوليك من واحد مليون في عام (١٩٠٢م) إلى (٣٣٠ مليون) نسمة في عام (٢٠٠٠م). وفي أفريقيا الآن مليون ونصف مليون كنيسة، وأن عدد أعضاء هذه الكنائس (٤٦ مليون) نسمة، وما معدله في كل عام (٦ ملايين انسان يتحول إلى النصرانية. في عام واحد جمعت المؤسسات التنصيرية المسيحية (١٩٤مليار دولار) وهو ما يعادل ميزانيات جميع الدول العربية. و(كينيا) على سبيل المثال عدد سكانها (ثلاثون مليون نسمة).. ربعهم من المسلمين، في كل (كينيا) يوجد (٩٠٠ مسجد) مقابل (٢٥ ألف) كنيسة، وهذه المساجد نصفها غير صالح للاستفادة.

وقد أعلن اتحاد الكنائس للتبشير الذي عُقد في (كاليفورنيا) سنة (١٩٨٠م) أنه توجد في مصر (Association) مؤسسة اسمها (Upper Egypt) بمعنى مصر العليا، ولها ستون فرعًا تنصيريًّا في مصر، وفي دولة مثل (موريتانيا) وهي دولة عربية مسلمة، عدد سكانها مليونان ونصف مليون نسمة مسلمة بالكامل بها هيئة (ديلوليس) الأمريكية، ومنظمة (الرويال) العالمية، ومنظمة (كاراتاس)، وجمعية الأمل الموريتانية، ومنظمة انفجار البشر، واتحاد الإنجيليين العرب، وكل هذه جمعيات تنصيرية في موريتانيا، وما من دولة عربية مستثناة من برنامج التنصير. أما في ماليزيا فتوجد خمسمائة مؤسسة تنصيرية.

ذكرت مجلة اسمها (International Bulletin of Missionary
←

بالإضافة إلى سائر برامج الكنيسة، وما يسعون لأجله من تثقيف الشعوب على ثقافتهم.

ولكننا لا نفعل حتى عشر ذلك في سبيل نشر الثقافة الحقة وهي

→

Researches)، وهذه خاصة بالأبحاث التنصيرية، نشرت الآتي عن عام (١٩٩٦م): عدد المنظمات التنصيرية (٢٣.٣٠٠ منظمة)، جمعت في عام (١٩٩٦م) (١٩٣مليون) دولار، عدد المنظمات التي ترسل مُنَصِّرين منها إلى الخارج (٤.٥٠٠ منظمة)، عدد المنصرين الذين يعملون داخل أوطانهم (٤.٦٣٥.٥٠٠ مُنَصِّر)، ارتفع بعد ذلك إلى (٦ مليون إلا ربع)، عدد كتب الإنجيل التي وزعت خلال عام واحد ملياران إلا ربع نسخة، عدد المجلات والدوريات التنصيرية (٣.١٠٠)، عدد أجهزة الكمبيوتر في المؤسسات التنصيرية (٢٠ مليون و٦٩٦ ألف و١٠٠ جهاز)، ارتفعت في عام (١٩٩٨م) إلى (٣٤٠ مليون) جهاز كمبيوتر، ظهرت كلمة السيد المسيح عليه السلام بهدف تبشيري وليس بهدف ديني على شاشات التليفزيون في عام واحد هو عام (١٩٩٦م) (١٥٠٠مرة) بمعدل ٤ مرات يوميًّا، أُنفِق على التنصير في عام (١٩٩٧م) (٢٠٠ مليار) دولار، تشرف الكنيسة على (١٠٤ ألف) معهد ومدرسة، بهذه المعاهد والمدارس (٦ مليون) تلميذ مسلم، وتشرف على (٥٠٠ جامعة)، تُشرف أيضا على (٤٩٠ مدرسة) لاهوت لتخريج المنصرين، عندها (١٠.٦٧٧) مدرسة رياض أطفال، وألف وخمسين صيدلية، لها (٣٦٠٠ محطة) ما بين مرئية ومسموعة تبث (٤٤٧ مليون) ساعة تنصيرية في كل عام!!

وفي نفس الوقت ذكر أن ثريًّا عربيًّا بنى في لندن قصرًا بسبعة مليار دولار. ونشرت صحيفة (لوفيغارو) الفرنسية خبرًا مفاده: أن ثريًّا عربيًّا خسر في ليلة واحدة على موائد القمار (٨٥ مليون فرنك)، ولم يكتفِ بهذا بل قدم مليون فرنك بقشيش للنساء!!

ثقافة الإسلام..

إن المجتمع الغربي وإن حصل على بعض التقدم في المجال المادي الدنيوي، وقضى على بعض الجهل في ذلك، ولكنهم فقدوا الآخرة ولم يعلموا بها، وخسروا العاقبة، وذلك لمخالفتهم أمر الله تعالى، قال عزوجل: ﴿بَلِ ادّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكّ مّنْهَا بَلْ هُم مّنْهَا عَمُونَ﴾[1].

أي إن علم هؤلاء منحصر في الدنيا، وليس لهم في الآخرة من علم، وعواقب الأمور لمن علم الآخرة وعرفها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[2].

وقد أصبح بعض الأمة اليوم مصداقاً للخاسرين في الدنيا والآخرة ـ والعياذ بالله ـ حيث حصر نفسه في الجهل ـ وربما كان جهله جهلاً مركباً ـ وأغمض عينيه عن عواقب الأمور وأسباب التطور والتقدم وطرق تحصيله، كما نسي الآخرة وضرورة تحصيلها، وهذا من أسباب تأخر المسلمين.

والخلاصة: إن المسيحيين لعملهم حصلوا على الدنيا (النسبي)

---

(١) سورة النمل: ٦٦.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

دون الآخرة، ونحن المسلمين تركنا العلم والعمل معاً، مع أنه إذا عملنا حصلنا على الدنيا والآخرة. ولكن كسلَنا أفقدنا موازين التقدم، فلم نتبع القرآن والشرع الحنيف ولا العترة الطاهرة عليهم السلام، فتأخرنا مع ما لنا من مقومات التقدم.

العلم والعمل

من هنا لا يكفي العلم وحده بل يحتاج إلى العمل أيضاً، ولايكفي القول بمفرده بل لابد وأن يتبعه الفعل، كما هو واضح. قال أمير المؤمنين عليه السلام: « المحسن من صدقت أقواله أفعاله»[1].

وقال عليه السلام: « إنكم إلى إعراب الأعمال أحوج منكم إلى إعراب الأقوال»[2].

وقال عليه السلام: «زيادة الفعل على القول أحسن فضيلة، ونقص الفعل عن القول أقبح رذيلة»[3].

وقال عليه السلام: «لسان الحال أصدق من لسان المقال»[4].

وقال عليه السلام: «يقبح بالرجل أن يقصر عمله عن علمه، ويعجز

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٣ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨٣٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٣ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨٣٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٣ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨٤٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٣ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨٤٢.

فعله عن قوله»[1].

ذات مرة قال لي شخص: إنني أستطيع تأليف كتاب كـ(العروة الوثقى)[2] في السعة والعمق في أسبوع واحد فقط!. هذا قول

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٣ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨٤٤.

(٢) كتاب العروة الوثقى، تأليف آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي المتوفى سنة (١٣٣٧هـ)، يبرز كتاب (العروة الوثقى) كرسالة عملية للأحكام الشرعية لفقيه عصره ووحيد دهره العلامة اليزدي قدس سره، هذه الرسالة احتلت مقام المحورية للأبحاث الاستدلالية في الفقه لكثير من العلماء الأفاضل الذين جاءوا بعده من جهابذة الطائفة ومراجعها وفقهائها، فكتب العشرات من التعليقات والحواشي والأبحاث الفقهية في ذيل مسائل هذه الرسالة الشريفة، ولم يكن ذلك إلا لما امتازت به من كثرة الفروع ودقة النظر في بيان الأحكام الشرعية.

أما مؤلفها فهو السيد محمد كاظم ابن السيد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي ولد في قرية (كسنوية) من قرى يزد سنة (١٢٤٧هـ) شرع في طلب العلم بحثٍ من والده رحمه الله في يزد، فقرأ الأدبيات والمقدمات الحوزوية على المرحوم ملا محمد إبراهيم الأردكاني والمرحوم الآخوند زين العابدين العقدائي، والسطوح العليا على المرحوم الآخوند الملا هادي في يزد، ثم سافر إلى مشهد المقدسة وواصل دراسته فيها، فقرأ علوم الهيئة والرياضيات، ثم توجه إلى اصفهان والتحق بعد وروده مباشرة بدرس العلامة المرحوم الشيخ محمد باقر النجفي ابن الشيخ محمد تقي صاحب (هداية المسترشدين) واستفاد من محضر صاحب (روضات الجنات) المرحوم السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري المتوفي سنة (١٣١٣ هـ) وغيرهم من العلماء الأفاضل، ثم عزم على المهاجرة إلى النجف الأشرف.

←

→

وصل النجف الأشرف في السنة التي توفي فيها الشيخ مرتضى الأنصاري ﷺ سنة (١٢٨١ ه)، فحضر بحوث الآيات العظام الميرزا الشيرازي، والشيخ راضي ابن الشيخ محمد الجعفري، والشيخ مهدي آل كاشف الغطاء، ونهل من نمير علومهم (رضوان الله عليهم أجمعين).

بعد هجرة الميرزا الشيرازي إلى سامراء شكّل السيد اليزدي حلقة دراسية، سريعا ما تحولت إلى حوزة دراسية مشحونة بالفضلاء وأهل التحقيق من طلبة العلوم، وكان عدد الطلاب الحضور في تزايد مستمر. تتلمذ عليه وروى عنه جمهرة من العلماء والأفاضل منهم: السيد محمود ابن شرف الدين علي التبريزي المرعشي. والشيخ أحمد كاشف الغطاء. والعلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. وغيرهم.

له ﷺ مؤلفات قيمة، منها: حاشية على المكاسب، ورسالة في حكم الظن المتعلق بإعداد الصلاة وأفعالها وكيفية صلاة الاحتياط. والعروة الوثقى، الرسالة العملية المعروفة. ورسالة في التعادل والتراجيح. والصحيفة الكاظمية، وهي مجموعة أدعية ومناجاة أنشأها بنفسه. ورسالة في منجزات المريض. والسؤال والجواب، في الفقه. قال السيد محسن العاملي في أعيان الشيعة: وفي أيامه ظهر أمر المشروطة في إيران وأعقبها خلع السلطان عبد الحميد في تركيا، وكان هو ضد المشروطة، وبعض العلماء يؤيدونها كالشيخ الملا كاظم الخراساني وغيره، وتعصب لكل منهما فريق من الفرس، وكان عامة أهل العراق وسوادهم مع اليزدي، خصوصا من لهم فوائد من بلاد إيران لظنهم أن المشروطة تقطعها، وجرت بسبب ذلك فتن وأمور يطول شرحها، وليس لنا إلا أن نحمل كلا منهما على المحمل الحسن والاختلاف في اجتهاد الرأي.

توفي السيد رضوان الله تعالى عليه في أوائل شهر رجب المرجب في النجف الأشرف عام (١٣٣٧هـ) وكان سبب وفاته إصابته بمرض ذات الجنب، وشيع تشييعاً كبيراً، ودفن في الإيوان الكبير من الصحن الغروي الشريف مما يلي مسجد عمران.

←

لاعمل فيه، فإنه قد غفل هذا الشخص عن الشخصية العلمية التي امتاز بها صاحب العروة، وكثرة جده واجتهاده في طلب العلم، فإنه لم يعلم بأن (السيد محمد كاظم اليزدي رحمه الله) قد ذهب مشياً على الأقدام من يزد إلى النجف الأشرف، حتى تمكن من إنجاز هذا الكتاب، كما سافر إلى خراسان وأصفهان قبل هجرته للنجف ودرس على علمائها، وقد طالع كتاب (الجواهر)[1] وهو في

→

وأشهر أصحاب التعليقات على العروة: السيد محمد ابن السيد محمد باقر الفيروز آبادي والميرزا حسين النائيني، والشيخ عبد الكريم الحائري، والشيخ آقا ضياء الدين العراقي، والسيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد حسين البروجردي، والميرزا السيد عبد الهادي الحسيني الشيرازي، والسيد محسن الطباطبائي الحكيم، والشيخ محمد رضا آل ياسين، والسيد أحمد الخوانساري ، والسيد أبو القاسم الخوئي، والسيد شهاب الدين المرعشي، والسيد حسن القمي، والسيد محمد الشيرازي (رحمهم الله).. ولكثير من العلماء الشرح الاستدلالي على العروة الوثقى منها موسوعة (الفقه) للإمام الشيرازي قدس سره ، و(بيان الفقه) للمرجع السيد صادق الشيرازي دام ظله.

(١) قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعة: جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام، للفقيه العلامة الشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبد الرحيم ابن الآغا محمد الصغير ابن المولى عبد الرحيم الشريف الكبير الذي جاور النجف الأشرف، كتب تمام نسبه كذلك بخطه في آخر كتاب القضاء من (الجواهر) الذي فرغ منه في (١٢٥٠هـ) لم يعين لنا سنة ولادته، لكنها ليست خارجة عن حدود (١٢٠٠هـ)، وتوفي كما رأيت بخط بعض تلاميذه في ظهر يوم الأربعاء غرة شعبان (١٢٦٦هـ)
←

الطريق، وأتم كتابه (العروة الوثقى) بعد اثنتي عشرة سنة، فإنه بعد ما أفنى سنين طويلة من عمره الشريف في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله، حينذاك أدرك أسراره وغوامضه، وتعرف على مطالبه، ثم قام بعد ذلك بكتابة (العروة الوثقى).

نعم، إن كتابة كتاب مثل (العروة الوثقى) عمل يحتاج إلى جهد سنين عديدة، لا إلى أسبوع واحد فقط كما كان يدّعي هذا الشخص، ولكن في الحديث الشريف: «عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان»[1].

وقس على ذلك الكثير من أمورنا التي نقولها ولا نعمل بها.

وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «تعلموا ما شئتم أن

→

وخلف كتابه الجواهر الذي لا يوجد في خزائن الملوك بعض جواهره، ولم يعهد في ذخائر العلماء شيء من ثماره وزواهره، لم يكتب مثله جامع في استنباط الحلال والحرام، ولم يوفق لنظيره أحد من الأعلام؛ لأنه محيط بأول الفقه وآخره، محتو على وجوه الاستدلال مع دقة النظر ونقل الأقوال، قد صرف عمره الشريف، وبذل وسعه في تأليفه فيما يزيد على ثلاثين سنة، لأن آخر ما خرج من قلمه الشريف من مجلدات الجواهر هو كتاب الجهاد إلى آخر النهى عن المنكر، وقد فرغ منه في (١٢٥٧هـ) فاثبت بعمله القيم المنة على كافة المتأخرين، وجعلهم عيالا له في معرفة استنباط أحكام الدين... انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٥ ص٢٧٥ تحت الرقم١٢٩٦.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٠٠ ق١ ب٣ ف٢ ح١٧٤٦.

تعلموا، فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به، لأن العلماء همتهم الرعاية، والسفهاء همتهم الرواية»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء، وتجادلوا به العلماء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم ما عند الله، فإنه يدوم ويبقى، وينفد ما سواه، كونوا ينابيع الحكمة، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون في أهل الأرض»[2].

المجالس والتعازي

إن من أهم ما يقضي على الجهل البسيط والمركب، ويوجب نشر الثقافة الدينية هي المجالس الحسينية الشريفة.

فإن من خلال هذه المجالس المباركة يمكن للإنسان أن يحصل على إقامة الروابط مع مختلف أفراد المجتمع وخاصة المثقفين منهم، وإزالة الجهل والشبهات، والتحصين بالمعرفة والوعي وأسباب النجاح..

إقامة المجالس الأسبوعية وحضورها، وكذلك الشهرية

---

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص٣٧ ب٩ ح٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص٣٨ ب٩ ح٦٠.

والموسمية، وقراءة التعازي على سيد الشهداء وأهل البيت عليهم السلام، فيها بركة كثيرة ـ مادية ومعنوية ـ ويستطيع الإنسان من خلالها أن يصل إلى هداية الناس وإرشادهم للفضيلة والتقوى ولخير الدنيا والآخرة، وهذا الأمر بالطبع يحتاج إلى السعي وبذل الجهد، لتكون هذه المجالس ناجحة ومفيدة وعاملة لتقدم المجتمع ونجاحه.

ومن اللازم علينا نحن الطلبة أن نربي مجتمعاتنا على الثقافة والوعي الإسلامي الحقيقي؛ وذلك لأن مجتمعاتنا اليوم أصبحت تعاني من مشاكل عديدة، فهي تعيش في ظل القمع والاستبداد، وتعاني من حالة الاستسلام والخنوع، وتمزق أوصالها الخلافات والصراعات، وينتشر في أجوائها الفساد والانحراف، وتعصف بأفكار أبنائها أمواج التضليل الإعلامي والتشويش الثقافي.

والمجالس الحسينية وما شابهها ينبغي الاستفادة منها بأكبر قدر ممكن لمعالجة هذه المشكلات والأوضاع، فإنها إضافة إلى أثرها المعنوي والاستمداد الغيبي التي تجلبه لنا من الله والأئمة عليهم السلام هي محل لنشر الثقافة والوعي وارتباط المجتمع بالقيادة الدينية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم روضة من رياض الجنة فارتعوا فيها»، قيل: يا رسول الله، وما روضة الجنة؟ قال: «مجالس

المؤمنين»[1].

وقال لقمان عليه السلام لابنه: « يا بني، اختر المجالس على عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله جل وعز فاجلس معهم، فإن تكن عالماً نفعك علمك، وإن تكن جاهلاً علّموك، ولعل الله أن يظلّهم برحمته فيعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم؛ فإن تكن عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعل الله أن يظلهم بعقوبة فيعمك معهم»[2].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «من جلس مجلساً يحُيى فيه أمورنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[3]

وقال الإمام الصادق عليه السلام لفضيل: «تجلسون وتحدثون؟».

قال: نعم، جُعلت فداك.

قال عليه السلام: «إن تلك المجالس اُحبها، فأحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل، من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١ ص١٨٨ ب١٣ ح١٣.

(٢) الكافي: ج ١ ص٣٩ باب مجالسة العلماء وصحبتهم ح١.

(٣) مشكاة الأنوار: ص٢٥٧ ب٦ ف٣ في ذكر القلب.

البحر»[1].

وقال عليه السلام: «أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميّتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم؛ فإن في لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا» ـ ثم قال عليه السلام: ـ «رحم الله عبداً أحيا أمرنا»[2].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «اجتمعوا وتذاكروا، تحفَّ بكم الملائكة، رحم الله من أحيا أمرنا»[3].

المجالس وقضايا الأمة

كما يلزم على المسئولين والإداريين في المجالس الحسينية ـ مضافاً إلى بيان السيرة وذكر المصائب ـ أن يتناولوا القضايا التي تعيشها الأمة من سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، وكل ما يمس حياة الفرد المسلم وواقعه الذي يعيشه، لكي يتحقق الغرض من وجودها بشكل أتم، وبذلك ستكون في المجتمع نفوس تحمل الروح الحسينية

---

(١) قرب الإسناد: ص١٨ ج١ ما رواه عبد الله بن جعفر الحميري.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢١ ب١٠ ح١٥٥٣٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٢ ب١٠ ح١٥٥٤٠.

الأبية وتعاليم الإسلام وتعاليم الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فهم عليهم السلام شعلة من التضحية والفداء والعمل والعلم والتقدم والسعادة والنجاح. فإذا أردنا أن لا نكون من الخاسرين في أعمالنا فلنحيي مجالس أهل البيت عليهم السلام بكل صورها.

ومن كل ما تقدّم من شواهد وإيضاحات للآية الكريمة في بداية البحث، نعرف أن غاية هذا الدين العظيم هي النجاح في الأعمال الدنيوية والأخروية، وهذا يتطلب القضاء على الجهل البسيط والمركب، والتحلي بمعرفة الدين بصورة صحيحة، وأخذه من منابعه الأصلية وهي القرآن والعترة الطاهرة عليهما السلام، وتطبيقه بشكل صحيح.. من أجل الوصول إلى حياة طيبة سليمة وواعية، حتى تسود المجتمع العدالة في كل الميادين، فلا يوجد مكان للحرمان أو الظلم السياسي أو المالي، فإن توصلنا إلى هذا الأمر نكون قد نجحنا في نشر أهداف هذا الدين العالمي، وإدارة حياتنا بالأسلوب الأفضل..

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ـ في خطبة له عليه السلام ـ : «.. أيها الأمة التي خدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها فأصرت على ما عرفت، واتبعت أهواءها وضربت في عشواء غوائها، وقد استبان لها الحق فصدعت عنه، والطريق الواضح

فتنكبته. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعذوبته، وادخرتم الخير من موضعه، وأخذتم من الطريق واضحه، وسلكتم من الحق نهجه، لنهجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام، وأضاء لكم الإسلام، فأكلتم رغداً، وما عال فيكم عائل، ولا ظُلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكن سلكتم سبيل الظلام، فأظلمت عليكم دنياكم برحبها، وسدت عليكم أبواب العلم، فقلتم بأهوائكم، واختلفتم في دينكم، فأفتيتم في دين الله بغير علم، واتبعتم الغواة فأغوتكم، وتركتم الأئمة فتركوكم، فأصبحتم تحكمون بأهوائكم، إذا ذكر الأمر سألتم أهل الذكر، فإذا أفتوكم قلتم: هو العلم بعينه، فكيف وقد تركتموه ونبذتموه وخالفتموه، رويداً عما قليل تحصدون جميع ما زرعتم، وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتلبتم. والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد علمتم أني صاحبكم، والذي به أُمرتم، وإني عالمكم، والذي بعلمه نجاتكم، ووصي نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وخيرة ربكم ولسان نوركم، والعالم بما يصلحكم، فعن قليل رويداً ينزل بكم ما وعدتم، وما نزل بالأمم قبلكم..»[1].

(١) بحار الأنوار: ج٢٨ ص٢٤٠ ب٤ ح٢٧.

نسأل الله عزوجل أن يمن علينا بالعلم والمعرفة وأن يخلصنا من الجهل بأنواعه البسيط والمركب.

«إلهي فاسلك بنا سبل الوصول إليك، وسيّرنا في أقرب الطرق للوفود عليك، قرّب علينا البعيد، وسهل علينا العسير الشديد، وألحقنا بالعباد الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإياك في الليل يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون، الذين صفيت لهم المشارب، وبلّغتهم الرّغائب، وأنجحت لهم المطالب..»[1].

(١) بحار الأنوار: ج٩١ ص١٤٧ ب٣٢ المناجاة الثامنة مناجاة المريدين ليوم الجمعة.

من هدى القرآن الكريم

موجبات الضلالة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ (٣).

وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (٤).

من عوامل التقدم:

أ. الاستفادة من التجارب:

قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأَبْصارِ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة: ١٠٨.

(٢) سورة النساء: ١١٦.

(٣) سورة الجاثية: ٢٣.

(٤) سورة النساء: ١٣٦.

(٥) سورة الحشر: ٢.

وقال جل وعلا: ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبابِ﴾[1].

وقال عزوجل: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ واقٍ﴾[3].

وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللهِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾[4].

ب. المشاورة:

قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ﴾[5].

---

(١) سورة يوسف: ١١١.

(٢) سورة الرعد ١٩.

(٣) سورة غافر: ٢١.

(٤) سورة الأحقاف: ٢٦.

(٥) سورة الشورى: ٣٨.

وقال سبحانه: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١).

ج: العفو والسلم:

قال تعالى: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

وقال عز وجل: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً﴾ (٣).

وقال جل وعلا: ﴿وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى: ٤٠.

(٣) سورة النساء: ١٤٩.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٤.

فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ (١).

وقال جل وعلا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾ (٢).

الإيمان طريق النجاة:

قال عز وجل: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

وقال جل وعلا: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ

---

(١) سورة البقرة: ١٠٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٣) سورة فصلت: ١٨.

(٤) سورة يونس: ١٠٣.

(٥) سورة الصف: ١٠ - ١١.

السُّوءُ﴾[1].

(١) سورة الزمر: ٦١.

من هدي السنة المطهرة

موجبات الضلالة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإن شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضل وندم»[١].

وقال عليه السلام: «ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة»[٢].

وقال عليه السلام: «ضل من اهتدى بغير هدى الله»[٣].

وقال عليه السلام: «ضلال النفوس بين دواعي الشهوة والغضب»[٤].

وقال عليه السلام: «صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله»[٥].

من عوامل التقدم:

أ: الاستفادة من التجارب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن حفظ التجارب أصابت أفعاله»[٦].

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٢٠ من كلام له عليه السلام يذكر فضله ويعظ الناس.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٩٥ ق١ ب٢ ف١٠ ح١٦٨٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٩٥ ق١ ب٢ ف١٠ ح١٦٨٢.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٠ ق١ ب١ ف٤ ح٣١٢.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٤ ق٦ ب٤ ف٣ ح١٠١٤٣.

وقال عليه السلام: «مَن أحكم التجارب سلم من المعاطب»[1].

وقال عليه السلام: «من كثرت تجربته قلّت غرّته»[2].

وقال عليه السلام: «المجرّب أحكم من الطبيب»[3].

وعنه عليه السلام: «التجارب لا تنقضي والعاقل منها في زيادة»[4].

ب. المشاورة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المستشير متحصن من السقط»[5].

وقال عليه السلام: «نعم الاستظهار المشاورة»[6].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لن يهلك امرؤ عن مشورة»[7].

وقال عليه السلام في وصية له: «اعلم، أن ضارب علي عليه السلام بالسيف وقاتله، لو ائتمنني واستنصحني واستشارني ثم قبلت ذلك منه لأديت إليه الأمانة»[8].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٤ ق٦ ب٤ ف٣ ح١٠١٦١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٤ ق٦ ب٤ ف٣ ح١٠١٦٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٤ ق٦ ب٤ ف٣ ح١٠١٤٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٤ ق٦ ب٤ ف٣ ح١٠١٣٨.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٢ ق٦ ب٤ ف١ ح١٠٠٦٨.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤١ ق٦ ب٤ ف١ ح١٠٠٤٦.

(٧) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٤٠ ب٢١ ح١٥٥٨٥.

(٨) الكافي: ج٥ ص١٣٣ باب أداء الأمانة ح٥.

ج. العفو والسلم:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «عليكم بالعفو؛ فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فتعافوا يعزكم الله»[2].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصية لابنه الحسن عليه السلام: «فإذا استحق أحد منك ذنباً فإن العفو مع العدل أشد من الضرب لمن كان له عقل»[3].

وقال عليه السلام: «المبادرة إلى العفو من أخلاق الكرام»[4].

وقال عليه السلام: «العفو أعظم الفضيلتين»[5].

طرق النجاة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي، ثلاث موبقات وثلاث منجيات، فأما الموبقات: فهوى متبع، وشُحّ مطاع، وإعجاب المرء

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٠٧ باب العفو ح١.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٠٨ باب العفو ح٥.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٤ ص٢١٨ ب٨ ح١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٤٥ ق٣ ب٢ ف٢ ح٥٠٠٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٤٥ ق٣ ب٢ ف٢ ح٥٠٠٦.

بنفسه. وأما المنجيات: فالعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وخوف الله في السر والعلانية كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى، ودُعي إلى رشاد فدنا، وأخذ بحجزة هادٍ فنجا»[2].

وقال عليه السلام: «الزموا الحق تلزمكم النجاة»[3].

وقال عليه السلام: «بالإيمان تكون النجاة»[4].

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إنّ أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله»[5].

---

(١) تحف العقول: ص٨ ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في طوال هذه المعاني.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٧٦ من خطبة له عليه السلام في الحث على العمل الصالح.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٩ ق١ ب١ ف١٤ ح٩٦٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٨٨ ق١ ب٢ ف٦ ح١٤٩٠.

(٥) الكافي: ج٨ ص٦٨ حديث علي بن الحسين عليه السلام ... ح٢٤.

الفهرس

كلمة الناشر ٣
الأخسرون أعمالاً ٦
من مصاديق ﴿الأخسرين أعمالا﴾ ٧
الخوارج هم الأخسرون ٨
خسارة المسلمين ١٢
الجهل سبب الخسارة ١٣
مقام الفتوى ١٤
من علائم التأخر ١٧
لماذا تأخر المسلمون؟ ١٨
التقدم والقضاء على الجهل ١٩
الإسلام دين السلام ٢١
الشهيد الثاني رحمه الله وطريق النجاح ٢٢
الأسرار الربانية ٢٧
التبشير المسيحي ٣٠
العلم والعمل ٣٥
المجالس والتعازي ٤٠
المجالس وقضايا الأمة ٤٣
من هدى القرآن الكريم ٤٧
من هدي السنة المطهرة ٥٢